التصورات الاجتماعية لموضوع المعرفة العلمية من خلال تقنية الرسم الحر
دراسة تحليلية لعينة من تلاميذ الطور الثانوي

شهيناز بن ملوكة*
جامعة مستغانم، الجزائر

تاريخ الاستلام: 15-07-2018 تاريخ القبول: 21-09-2018 تاريخ النشر: 28-09-2018

الملخص:

لقد تناولت الدراسة الحالية موضوع تصورات لموضوع المعرفة العلمية عند تلاميذ الطور الثانوي هذه الدراسة قد ضمنت عينة من(150) تلميذا موزعين على ثانويات من ولاية وهران، تتمحور إشكالية البحث حول التعرف على محتوى تصورات لموضوع المعرفة العلمية، وكيفية تنظيم هذا المحتوى وتأثيره على سلوك المراهق المتمدرس؟ وفي سياق التعرف على محتواها وكيفية تنظيمها، فإن هذه الدراسة تجيب على التساؤلات التالية: مما تتكون تصورات التلاميذ لموضوع المعرفة العلمية؟ وكيف تنتظم عناصر هذه التصورات في توجيه سلوك التلميذ الثانوي، أما الأدوات المنهجية فتمثلت في المنهج التخطيطي(الرسم الحر)، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: تصورات التلاميذ لموضوع المعرفة العلمية تمحورت حول نواة مركزية الظاهرة في مجموعة من العناصر السلبية المرتبطة بعلاقة سلبية مع موضوع المعرفة العلمية والصورة السلبية لشخصية الأستاذ وأنها لا تتطابق مع مستوى انتظارات وتوقعات المستقبلية للتلميذ.

الكلمات المفتاحية: التصورات الاجتماعية؛ المعرفة العلمية؛ الرسم الحر.

The social perception of the subject of scientific knowledge through the technique of free drawing

Chahineze BENMELOUKA*
Mostaghanem University, Algeria

Abstract

The present study was conducted the subject of scientific knowledge for the secondary school pupils. The sample was formed of(150) pupil's distributor son high schools of Oran province. The survey centered on how far can contribute the content of reception to the subject of scientific knowledge and how can effects of adolescent learners behavior? In this contest we identify these perception and how can we organize it in the right way This study answers these following questions which consists the perception of pupil of the subject of scientific knowledge? we use the planning approach free drawing on methodological tools. The study concluded on pupils perception of the subject of scientific knowledge centered around a central nucleus appear in the set of negative elements associated with negative relationship with the subject of knowledge and negative image of the teacher.

Keywords: representation; scientifique knowledge; free drawing.

* **E. Mail:** benmeloukachahineze@yahoo.fr

مقدمـة:

يعتبر الرسم في أدبيات علم النفس على أنه إسقاط كل ما يشعر ويفكر فيه الفرد على مساحة الورقة، واعتبره Jourdan et Ionesco بأنه وضعية إسقاطية تظهر من خلاله المخاوف، الصراعات وتنهار الدفاعات ويطفو القلق أما J. Royer فتعرفه على أنه: الرسم يسمح بالتعبير عن الغير الموصوف(الذي لا يوصف) الذي لا يمكن تفسيره، الفريد من نوعه، الغير المفهوم تطفو كل المشاعر والانفعالات بشكل جلي ودون مقاومة(Royer,1995, 14)، أما Muchielli فيوضح الأهمية الإسقاطية للرسم من خلال المحتوى الظاهري ومحتوى الخطي للرسم: المحتوى الظاهري يكون شعوريا.

أما المحتوى الكامن يكون مرتبطا بالرموز اللاشعورية، النشاط التخطيطي الحر هي من أفضل الطرق للتعبير عن الصراعات النفسية فالنشاط التخطيطي له وظيفتان:

1. وظيفة التعرف على الجانب اللاشعوري.
2. وظيفة استعراض الآلام أو الجروح النفسية.

بمعنى أن للرسم وظيفة إسقاطيه يظهر العرض في شكل آخر أكثر غموضا بالنسبة للفاعل وأكثر رمزية بالنسبة للباحث.(Pommereau, Brun,2001, 102)

الرسم هو اللحظة التي ينبثق الخيال منها آخذا معه طورا من الماضي والمستقبل الفاعل فهو موقف يتجمع حوله الزمن(Royer,1995, 16-17) وتنهار أمامه كل الميكانيزمات الدفاعية. (Boutonier,1959, 25)

ومن بين أهم الدراسات التي أحصيت والتي استخدمت الرسم في علم النفس بين الفترة الممتدة بين سنة(2000 و2006)، أين اعتبر أن هناك حوالي(606) مقالا نشرت لتقويم الأعمال التي استخدمت الرسم وزعت على النحو التالي: (22.3%) لتقويم النفسي والتشخيصيL'évaluationpsycho-diagnostique و(17.2%) للتقويم التطوري L'évaluation développement (4.3%) من الدراسات استخدم كأداة لجمع ودراسة التصورات أو الإدراك، هذه النسبة من الدراسات فقط(12.7%) من الدراسات كانت خاصة بفئة المراهقين، هذا ما يفسر أنه لا يوجد دراسات كثيرة اهتمت باستخدام تقنية الرسم عند فئة المراهقين.

وقد أشرت سابقا، أن المنشورات المتعلقة باستخدام التصورات الشكلية أو الرسوم كأداة للتعرف على التصورات الاجتماعية حول مواضيع معينة أو تعبر عن معاش شخصي بعض الأبحاث تركز على بعض المؤشرات الشكلية غير المرتبطة بالحيرة واليأس والاكتئاب.

بالإضافة إلى دراسات كل من(1989,D. C. Dubreuque)، (2000,Rousseau et Heutsh) ، وغيرها من الدراسات التي اهتمت بدراسة التصورات الاجتماعية باستخدام المنهج التخطيطي عند فئة المراهقين.

أما عن أهم الدراسات حول استخدام الرسم لدراسة التصورات حول موضوع العلم، المعرفة، العالم الباحث، المخترع، تم حصرها في الجدول التالي:

جدول(1) مختلف الدراسات حول التصورات لموضوع العلم والعلماء عند التلاميذ

البلد	الدراسات	سنة	الفئة العمرية المستوى الدراسي	الغاية من الدراسة	المتغيرات	المنهج
الولايات المتحدة الأمريكية	Drama scientist test CHAMBERS	1995	. ابتدائي . ثانوي . جامعي	دراسات حول الصور النمطية Les stéréotypes	. ملمح العالم . رموز البحث والمعرفة	. رسم شخصية علماء . مقابلات
البرازيل	مفهوم العلم LANNES	1998	. ابتدائي . ثانوي	سن تكوين صورة العالم مقارنة بين الدول دلالة الصورة واختيار المهنة المستقبلية.	تصور العلم . تصور المهن العلمية	. رسومات . رسومات
كندا	تصورات التلاميذ حول العلم والتكنولوجيا TOUSSAINT	2003	. ابتدائي . ثانوي	تصور موضوع المعرفة	. تصور العلم . تصور المهن العلمية	. مقابلات . رسومات
بريطانيا	Invisible witnesses WHITELEGG UKRC	2008	. مراهقين	. تكوين صورة العام ومهندسين رياضيين، علماء في الرياضيات وتطور صوره . دور وسائل الإعلام في تشكيل تصورات الشباب حول مستقبلهم	حول تصورات علماء مهندسين، رياضيين	دراسة مضمون البرامج التلفزيونية رسومات العلماء
فرنسا	تصورات التلاميذ حول موضوع العلماء	2010	. ثانوي	. صور التي يكونها التلاميذ حول العالم	. تصورات حول علماء وتأثيرها على اختيار التخصص علمي.	. تحليل الرسوم والكتابات المرافقة لها .

(Lage,Jakubowicz,2012,Volume 1)

ما يمكن ملاحظته من خلال هذه الدراسات أنها استخدمت تقنية الرسم الحركي كأداة ومنهج لدراسة التصورات الاجتماعية لمواضيع مختلفة، هذا ما دعم اختيار المنهج التخطيطي كأداة مكملة للتحليل الكمي للمقابلات لنتحول بعد ذلك إلى منهج قائم بحد ذاته بين المحتوى ومنهج تحليل المحتوى اللفظي عند أفراد العينة بهدف تحقيق هدفين:

1. التعرف على تصورات التلاميذ لموضوع المعرفة على جملة المشاعر والانفعالات المعبر عنها في رسومات التلاميذ.
2. اكتشاف خصوصية التصورات الشكلية من خلال المقارنة بين مجموعة الرسومات.

الإشكالية:

إن إشكالية البحث تتمحور حول المعنى الذي يوليه التلاميذ لموضوع المعرفة العلمية؟ ومما وكيف تصاغ عناصر هذه التصورات من خلال تقنية الرسم الحر؟

أهداف الدراسة:

في هذه الدراسة سوف يتم وصف محتوى التصورات الاجتماعية لموضوع المعرفة العلمية عند التلاميذ الطور الثانوي من خلال تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على محتوى التصورات الاجتماعية لموضوع المعرفة العلمية من خلال الرسم الحر.
2. التعرف على كيفية تنظيم عناصر التصورات الاجتماعية(مجال التصور) لموضوع المعرفة العلمية.

أهمية الدراسة:

1. تظهر أهمية البحث في اكتشاف الطريقة التي يكون بها التلميذ الثانوي لموضوع المعرفة العلمية.
2. استخدام تقنية الرسم الحر كأداة لتحليل محتوى وبنية التصورات لموضوع معرفة العلمية الأمر الذي يجعل من هذه الدراسة بأن تكون كدراسة ممهدة لدراسات لاحقة حول موضوع التصورات الاجتماعية لموضوع المعرفة المدرسية عند تلاميذ الطور الثانوي وتأثيرها على مستوى التحصيل الدراسي.

حدود الدراسة:

حسب التقاليد المعمول بها في الدراسات العلمية يشترط أن تكون للبحث حدود إقليمية وزمنية ومادة البحث الممثلة في موضوع بحثنا لفئة التلاميذ الذي تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة حيث أن:

الحدود المكانية أو الإقليمية: أخذت مجالا جغرافيا نوعا ما واسعا يتمثل في ولايتين من الغرب الجزائري وهما ولاية وهران وولاية مستغانم.

الحدود البشرية: أخذنا عينة مقصودة نظرا لخصوصية أفراد العينة موضوع الدراسة الذين اشترط أن يكون: تلاميذ السنة الثانية من الطور الثانوي، تلاميذ تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة.

الحدود الزمنية: بدأت الدراسة من شهر فيفري 2012 إلى شهر ماي 2014.

الحدود الدراسية: انحصرت في الوقوف على تصورات الاجتماعية للتلاميذ السنة الثانية الذي تظهر لديهم أعراض الانقطاع.

تحديد مصطلحات الدراسة:

التصورات الاجتماعية: عرف Moscovici التصورات الاجتماعية في مقدمة كتابة التحليل النفسي صورته وجمهوره(1961) على أنها: شكل خاص من المعرفة و مجموعة من القوانين العلمية المنظمة وهي إحدى

العمليات النفسية التي بفضلها يستطيع الأفراد جعل الواقع النفسي والاجتماعي مفهوما واضحا. (Moliner,1996, 51)

كما يعرفها على أنها عمليات مستقلة ترتكز على سيرورتين أساسيتين: السيرورة الإدراكية أو الحسية السيرورة التجديدية، فالسيرورة الحسية تسمح لنا بإدراك وتسجيل الموضوع، أما السيرورة التجديدية فتعمل على إعادة صياغة وتنظيم كل ما هو مدرك، تصور موضوع أو شيء معين أو وضعية معينة، لا يحدث بشكل تكراري بسيط، وليس مجرد انعكاس داخلي لواقع خارجي، ولا نسخة مطابقة لكل ما يحدث خارج العقل، وإنما التصور هو إعادة بناء وتعديل النص كله.(Moscovici,1976, 56)

فحسب نظرية التصورات الاجتماعية، فالمعلومات والمعارف تظهر في التفكير العام من خلال جملة التفاعلات، وأن التطور المعرفي هو نتيجة يشترك فيها ما هو اجتماعي وما هو فردي، كما تعرف jodelet. dالتصورات الاجتماعية على أنها شكل من أشكال المعرفة متطورة اجتماعيا ومشتركة لها هدف عملي، تساهم في تشكيل واقع عام لأي تجمع اجتماعي.(Jodelet,1989, 43)

كما يعرفها Abric على أنها سلم لقراءة وفك شفرة الواقع، فالتصورات تنتج الأفعال والسلوكيات وتفسر الوضعيات وذلك باستخدام نظام تصنيفي مناسب ومستقر ، تنشئ التصرفات وتسمح بتبريرها مقارنة بالمعايير الاجتماعية.(Doise,1986, 83)

وما يمكن استخلاصه أن تعدد التعريفات حول التصورات الاجتماعية واختلافها يعود أصلا لتعدد الباحثين وتوجهاتهم وكذا إلى المقاربات المعتمدة، الأمر الذي أدى بـ Lahlou إلى اعتبار أن هذه التعريفات النظرية ما هي إلا جملة من التصورات لموضوع التصورات الاجتماعية.(Lahlou,1995, 53)

ويمكن تلخيص ما سلف في ما يلي: التصورات شكل من أشكال المعرفة التطبيقية تربط الفاعل بالموضوع.(Jodelet,1989, 43)

يقدم هذا تعريف عنصرا مهما ومثيرا وهو: أن التصورات الاجتماعية هي نتيجة للتجارب التطبيقية للفاعلين الاجتماعيين حسب المكانة الاجتماعية التي يحظى بها هؤلاء الفاعلون، إذ أن التصورات الاجتماعية لجماعة معينة حول موضوع معين لا ترتبط فقط بالانتماء وإنما تتعداها إلى التجارب والخبرات الاجتماعية التي تحملها هذه الجماعة، فهي تتشكل من الذاكرة الجماعية بتاريخها، ثقافتها وقيمها.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

إن نظرية التصورات كانت موضوع عدة قراءات وتحاليل قام بها باحثون في مجالات شتى، وهذا ما يعتبر مؤشرا إضافيا على غنى هذه النظرية ومن أهم الدراسات الموجودة في سجل أبحاث التصورات الاجتماعية للمواضيع التالية: الجسم الإنساني: Jodelet,1983، المرض: Herzlish,1969، الثقافة: Kaes,1968، العدالة: Faugeron,1978، حقوق الإنسان: Clemence Et Doise, 1995، مهنة الممرضة: Guimilli Et Reymer,1994، الممارسات والهوية المهنية: Blin,1997، القابلات: Bergeron,2003 وهي دراسات اهتمت بمحتوى التصورات وتأثيراتها على العلاقات الاجتماعية.

وظائف التصورات الاجتماعية:

إن كل الباحثين في مجال التصورات الاجتماعية قد أجمعوا على أن وجود التصورات هو وجود وظيفي بمعنى أنها تقدم للأفراد والجماعات الحاجات الأساسية.. هذا ما أكده Moscovici بأن التصورات تؤدي وظيفتين بالنسبة للأفراد: الوظيفة التوجهية والوظيفة الحركية.

أولا: الوظيفة التوجهية:

يعرفها Moscovici التمثل الاجتماعي بأنه نموذج من المعرفة الخاصة لها وظيفة تكوين السلوكيات والاتصال بين الأفراد".(Moscovici,1976, 26)

وأن التصور الاجتماعي هو تحضير للفعل(الأداء) وليس دليلا عليه، بل هو أكثر من هذا فوظيفته هو إعادة صياغة السلوك وتكوين عناصر المحيط الذي يتولد في السلوك، وبهذا تعطي للسلوك معنى بدمجه في شبكة من العلاقات المرتبطة بالموضوع.(Moscovici,1976, 47)

وهذه الوظيفة تظهر لنا مدى الارتباط الموجود بين التمثل والسلوك بعيدا عن النموذج السلوكي الكلاسيكي: مثير استجابة وذلك نتيجة لثلاثة عوامل أساسية:

1. تصور يعمل كنظام لتفسير الواقع.
2. تصور يعمل كنظام لقراءة التوقعات والانتظارات.
3. تصور يعمل كنظام للتصنيف الاجتماعي لقراءة وفك شفرة متطلبات المحيط وتحديد نوع السلوكيات المتوافقة مع السياق الاجتماعي.(Abric,1994, 17)

ثانيا: الوظيفة الحركية:

عرفها Abric التمثل بأنه يحدد مستوى مساهمة الفاعل ودافعيته وقدرته على توظيف إمكانياته المعرفية، هذا ما وضحه Guimelli في العلاقة الموجودة بين القدرات المعرفية للفرد ودرجة مساهمته وهذا يعتبر عاملا ذا أهمية قصوى يتمخض حسب rouquette عن تداخل ثلاثة عوامل نفسية اجتماعية وهي: القدرة على تقييم المواضيع، القدرة على التقمص، القدرة على ملاحظة الفعل(المرور إلى الفعل).

هذه العناصر الثلاثة تساهم في تشكيل وتحديد مستوى مشاركة الفاعل في الوضعيات المختلفة كما تحدد لنا المسافة الموجودة بين الفاعل والموضوع وطبيعة العلاقة بينهما.(Lebrun,2001, 98)

إجراءات الدراسة الميدانية

منهج الدراسة:

لم يكن المنهج التخطيطي(الرسم الحر) اختيارا منهجيا منذ البداية، وإنما كان وليد الملاحظة والمصادفة معا، كيف ذلك؟ خلال القيام بمقابلات الغير الموجهة لاحظت الباحثة أن معظم أفراد العينة المشاركين في دراسة يقومون برسم أشكال معينة على الأوراق خلال المقابلات، لهذا حاولت أن تعزز هذا السلوك بوضع أوراق بيضاء وقلم الرصاص والألوان، خلالها لاحظت أن بعض التلاميذ يميلون إلى الرسم خلال المقابلات، تكرار هذا السلوك شجعت بشكل أو بآخر على استخدام تقنية الرسم الحر كمنهج لدراسة

التصورات التلاميذ لموضوع المعرفة المدرسية، مع وجود تفصيل أن الباحثة لم تفرض هذه التقنية على كل أفراد العينة وإنما كان باحترام رغبة التلاميذ وذلك باستخدام الصيغة التالية: إن كنت ترغب بذلك هل يمكنك أن ترسم أي شيء يمثل لك موضوع المعرفة المدرسية؟

هذه التعليمة دفعت بعض أفراد العينة إلى عدم رسم أي شيء واكتفوا بإرجاع الورقة بيضاء.

قبل الولوج في تفاصيل هذه المرحلة، سأعرض أهم الأبعاد النظرية للمنهج التخطيطي وأهم الدراسات التي استخدمت الرسم الحر لدراسة التصورات الاجتماعية.

مجتمع وعينة الدراسة:

لقد تم تصنيف الرسومات إلى(4) مجموعات على أساس المحاور:

المحور الأول: المعرفة المدرسية مرتبطة بالتمييز بين التلاميذ(عينة من رسومات التلاميذ).

المحور الثاني: لا قيمة للمعرفة المدرسية أو الشهادة في الجزائر(عينة من رسومات التلاميذ).

المحور الثالث: المعرفة المدرسية ليست وسيلة لتحقيق الطموحات(عينة من رسومات التلاميذ).

المحور الرابع: حامل الشهادة مستقبله البطالة والفقر(عينة من رسومات التلاميذ).

أدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية:

سيتم تحليل رسومات التلاميذ من منطلق المنهج التحليلي بمعنى توضيح نوعية علاقة التلميذ بموضوع المعرفة المدرسية، سيتحقق ذلك من خلال المرور بعدة مراحل:

- اختيار عينة من رسومات التلاميذ.
- ملاحظة ووصف الرسومات مع ذكر كل التفاصيل الدقيقة للرسم هذا ما جعل الباحثة تتبع المقاربة التحليلية لـ Royer من منطلق المقاييس التالية:
- موقع الرسم في الورقة.
- الخطوط.
- الأشكال والألوان المستخدمة.
- مواقع الأشخاص في الرسم.
- مواضيع التقمصات.

استخراج المعنى الذي يوجد وراء الرسومات هذا ما تفسره المقاربة هيرومنطقية L'herméneutique الذي اتبعها الفيلسوف الإنساني الوجودي gadamer في كتاب(mise en œuvre de sens) أين يتحول الرسم إلى لغة ناطقة تعبر عن ذاتها وهي قابلة للتأويل في كل زمان ومكان.

إجراءات التطبيق:

في هذا الجزء من الدراسة سنقدم نتائج تحليل الرسومات حول موضوع المعرفة المدرسية في السياق الذي يجمع بين شخصية التلميذ، موضوع الرسم، والرسم في حد ذاته من خلال التحليل العيادي المفصل لعينة من الرسومات التي أنجزها حوالي(18) تلميذا يشمل:

- تحليل محتوى الرسومات(البناءات الشكلية).
- عرض المواضيع التي توجد في الرسومات.
- تصنيف المواضيع في مجموعات.

المواضيع أو المحاور التي شملت عليها رسومات التلاميذ:

لقد تم تصنيف الرسومات إلى(4) مجموعات على أساس المحاور التالية:

المحور الأول: المعرفة المدرسية مرتبطة بالتمييز بين التلاميذ الذي يمارسه كل من الأساتذة والإداريين على حسب المستوى الاجتماعي، الاقتصادي والجنسي للتلميذ.

المحور الثاني: لا قيمة للمعرفة المدرسية أو الشهادة في الجزائر: نلاحظ في هذه العينة من الرسومات بأن التلاميذ يعتبرون بأن المعرفة المدرسية لا قيمة لها في الجزائر، وإنما مكانهم الطبيعي هو موجود بالخارج.

المحور الثالث: المعرفة المدرسية ليست وسيلة لتحقيق الطموحات ظهر هذا المستوى من التصورات يظهر المحور من خلال المقارنة بين وضعيتين وضعية التلميذ الذي تحصل على الشهادة وتلميذ آخر لم يتحصل على الشهادة.

المحور الرابع: حامل الشهادة مستقبله البطالة والفقر: تتقاطع مجموعة من الرسومات أن مستقبل حامل الشهادة هو البطالة وانتظار العمل.

عرض نتائج وتحليل المؤشرات التخطيطية لرسومات التلاميذ:

بعد عرض الباحثة لأهم المواضيع التي شملت عليها رسومات التلاميذ المشاركين في هذا الجزء من الدراسة، لا بد من توضيح ما هي المؤشرات التخطيطية التي ظهرت في هذه الرسومات والتي سوف تساهم أو تساعدنا في فهم الديناميكية النفسية للتلاميذ الحاملين لأعراض الانقطاع عن الدراسة.

أولا: تحليل المؤشرات التخطيطية للرسومات المجموعة الأولى:

نلاحظ من الوهلة الأولى في هذا الرسم(1) أن التلميذ(س. ن. شعبة علوم طبيعة والحياة) عبر عن موضوع المعرفة المدرسية من خلال المقارنة بين وضعيتين مختلفتين في نفس المكان وهي الثانوية مستخدما في ذلك منطقة(أعلى متوسط) من الورقة وهي منطقة تدل على حسب J. Royer على الخيال والقدرة على التفكير وهي منطقة تستخدم عند الذكور أكثر من الإناث، هذا مؤشر على أن الصبيان يميلون إلى تجنب الكلام عن مشاعرهم ويفضلون التفكير المنطقي هذا ما يؤثر على صعوبة التعامل مع ما يشعرون به من إحباط وعدم الأمن، هذه المشاعر تم التعبير عنها من خلال عدة مؤشرات ظهرت في حركة القلم والضغط على الخطوط عند رسم شخصية مستشار التربية أين نلاحظ الضغط على القلم بشكل واضح، واستخدام اللون الأسود الذي يعبر عن الإحباط الذي يشعر به التلميذ اتجاه سلوكيات المستشار في عدوانية ظهرت في رسم المستشار في وضعية تهكمية ساخرة، استخدامه فقط اللون الأسود قلم الرصاص، هو مؤشر على وجود كف وكبت عند هذا التلميذ هذا ما وضحته Royer عندما اعتبرت أن كل من حركة القلم واختيار

اللون هما شكلين لتعبير عن الجانب الوجداني للشخص وأن كل التنوع في استخدام الألوان فهذا مؤشر على تنوع مشاعر الفرد.(Royer,2005, 175)

الرسم(1) من المجموعة الأولى

وفيما يتعلق بهذا الرسم وأغلب الرسومات التي سوف يتم تحليلها نلاحظ أن أغلب التلاميذ استخدموا فقط قلم الرصاص دون الألوان بالرغم من وجودها على الطاولة، اختيار هذا اللون هو دليل على وجود حزن عند هذا التلميذ من وضعيته داخل الثانوية وعن الطريقة التي يعامل بها من طرف المستشار الذي يمثل السلطة داخل المؤسسة يظهر ذلك من خلال رسمه لحجم جسم التلميذ الذي يفتقد لكل المقاييس الجمالية ظهر في شكل صغير الحجم شخص مقارنة بشخصية المستشار.

هذه المؤشرات توضح الصورة السلبية التي يحملها التلميذ لذاته نتيجة الصورة السلبية التي يحملها المستشار عنه، هذه السلبية ظهرت في رسمه لإيماءات المستشار ووضعية جسمه وحركة اليدين وهي إشارات تدل على العدوانية والقوة خاصة مع وجود كل من:

- وضعية الجسم وحركة الذراع التي تمتد بسبابة على شكل مسدس.
- ظهور الأسنان.

هذان مؤشران اللذان أظهرهما التلميذ في رسم المستشار تدل على السيطرة الذكورية أو على عمل تقمص لما يريد أن يكون عليه التلميذ اتجاه المستشار.

مؤشر آخر يساعدنا في فهم تصورات هذا التلميذ، هو رسمة لوضعيته كتلميذ مع المستشار مقارنة بوضعية التلميذة وهي وضعية تعبر عن نوعية ومستوى الاتصال بين الأشخاص، أين نلاحظ في الوضعية الأولى لا يوجد أي مجال بصري مشترك بينهما على عكس الوضعية الثانية بين التلميذة والمستشار.

نلاحظ غياب أو حذف الأذنين أيضا لكل من التلميذ والمستشار تدل على أنه لا يوجد اتصال بينهما وكأن أحدهما يلغى وجود الآخر، هذا الأمر ظهر في وضعية التلميذ بالقرب من الباب الذي ظهر في شكل مجموعة من القضبان، هذا ما يوحي بأن الثانوية بالنسبة للتلميذ ما هي إلا سجن يسعى لتحرر منه، هذه الوضعية التجنبية يبررها انفصال جسم التلميذ عن الأرضية مقارنة بالوضعية الثانية وهذا مؤشر على شعور بعدم الأمن والانتماء للمكان الذي يوجد فيه.

هذه المؤشرات توضح لنا مدى العدوانية التي يشعر بها التلميذ نتيجة عمق احباطاته وعدم شعوره بالأمن داخل الثانوية، من منطلق أن المعرفة المدرسية هي ليست من حقه وأنه لا يملك الحق في امتلاكها لأنه لا تتوفر فيه الشروط الاجتماعية للحصول عليها، هذه المؤشرات تتقاطع مع فكرة أن مضمون التمثل كموضوع خارجي يحمل شكل بضاعة لها زبائنها وهو لا يملك القدرة على الحصول عليها، هذه العلاقة السلبية مع موضوع المعرفة الذي هو موضوع سيء لأنه يضع التلميذ في مواجهة مع الصورة السلبية عن ذاته وللتخلص من هذه المواجهة ما عليه إلا إقصاء الموضوع المؤلم، هذا ما اقترحته Klein عندما فسرت ميلنا إلى إلغاء الموضوع السيئ نتيجة الوضعية اكتئابية، التي نمر بها عند انفصال عن الموضوع المؤلم.

الرسم(2) من المجموعة الأولى

أما الرسم(2) تم إنجاز هذا الرسم من طرف التلميذ(س، ع. شعبة أداب وفلسفة)، ما يميز هذا الرسم وجود 3 أشخاص في الصورة لهم نفس الحجم برغم من اختلاف مكانتهم، التلميذ في الجهة اليمنى من الورقة، المستشار في الجهة اليسرى، وأستاذة مادة الإنجليزية في وسط الورقة.

تظهر في مشهد متحرك يعبر عن حوار بين المستشار الذي يوجه رسالة للأستاذة ليخبرها بطريقة عدوانية بأن هذا التلميذ لا يستحق أن يطرد، لأنه ابن محمي بوظيفة والده الذي هو عقيد في الجيش.

ما هو ملاحظ أن الرسم طغى على كل مساحة الورقة مما يدل على قدرته على التعبير الذي يظهر من خلال حجم شخصيات الرسم هذا ما اعتبره Abraham بأن حجم الشخصيات أو تضخيم الجسم مرتبط بتقدير الذات.(Abraham,1992, 108)

لكن الملاحظ أن التلميذ وضع المدير المستشار في موقف سلطوي عدواني يظهر من خلال بروز الأسنان واتجاه سبابة اليد نحوه وفي اتجاه الأستاذة وكان التلميذ تقمص شخصية المستشار ليسقط عدوانيته من خلال شخصية المستشار الذي يملك سلطة إدارة الأساتذة والثانوية على أستاذة الإنجليزية لكن فضل أن يسقطها على الآخر شخصية المستشار كي يظهر بشكل لائق.

نلاحظ أن هذا التلميذ رسم شكل جسم التلميذ وهو يخفي يده وذراعه الأيمن، ورسم الأستاذ بدون يدين أما المستشار لم يرسمه إلا بذراع ويد يسرى، نلاحظ أن تكرار غياب وحذف هذا العضو من الجسم هو مؤشر على وجود مشكل علائقي اتصالي واضح يعاني منه التلميذ على مستوى علاقته مع الآخرين بما في ذلك مع الأستاذة والمستشار، وهما الجزء حسب Abraham الأكثر استخداما في التعامل مع المحيط، هذا الحذف له بعد رمزي يدل على مكان وجود الصراع وعلى مشاكل علائقية وشعور عميق بالتخلي(Abraham,1992, 51)، هذا ما تفسره Royer عندما أسندت نسيان رسم الأيادي إلى فقدان الأمن في العلاقات الاجتماعية.(Royer,1977, 190)

لكن لو ذهبنا إلى أعمق من ذلك لاحظنا عمل التقمص l'identification كآلية دفاعية تظهر في تقمص التلميذ لشخصية الوالد الذي له رتبة عسكرية هذا ما جعله يرسم شخصيات المشهد بنفس الحجم في وضعية المنافس للمستشار والأستاذة، البحث عن الذات من خلال الآخر(ابن رجل لديه نفوذ) يتفق هذا مع ما شرحته Carman بطريقة جيدة عندما اعتبر أن البحث عن الذات من خلال الآخر المزدوج الذي يعبر عن ازدواجية الهوية.(Carman,1978, 187)

وهي ديناميكية نرجسية للآنا يبحث عن الذات من خلال الآخر Alter–Ego الذي يتضخم ويتضخم ليعوض عن الألم الذي يسببه الجرح النرجسي ويخفف من حدة الصراع والقلق هذا ما تعكسه ملامح الجريئة للتلميذ(س. ع) عند تعليقه على الرسم كان يبدو سعيدا وعندما سألته إذا ما كان يرغب في أن يكون مثل هذا التلميذ، كانت ردة فعله بقوله هل صدقت ذلك هذا رسم فقط.. عدم الأمن والإحباط أفرز نوع من العدوانية التي ظهرت من خلال رسمه لكل من شخصية المستشار والأساتذة بثياب مضحكة أين ظهرت الأستاذة بدون حذاء في موقف ضعف بتنفيذها لأوامر المستشار الذي هو بدوره لا يملك سلطة القرار أمام سلطة والد التلميذ.

هذه الفكرة تأخذنا إلى أبعد من ذلك هو أن لا يوجد قيمة للمعرفة المدرسية في وجود السلطة، فالعلم له صورة الضعف الذي يجب أن يرضخ لمن هو أقوى منه، وهو كتلميذ لا يريد أن يكون ضعيف، لهذا لا يريد البقاء في هذا المكان الذي يصنع الأشخاص الضعفاء.

ثانيا: تحليل المؤشرات التخطيطية للمجموعة الثانية:

المحور العام التي تتجمع حوله رسومات هذه المجموعة هو أن موضوع المعرفة المدرسية لا قيمة له في الجزائر هذا ما يوضحه الرسم(3) المنجز من طرف التلميذة(ب، ش. شعبة تسير واقتصاد)، أين قامت التلميذة بتقسيم ورقة الرسم إلى ثلاثة أقسام أفقية القسم الأول الذي يوجد في أعلى الورقة ويشمل قاعة الدرس الذي تحوي على ثلاث طاولات متراصفة بشكل عمودي خلف كل طاولة يوجد تلميذان بدون كراسي، ثم قامت بحركة قلم على مسافة معينة برسم طاولة أو مكتب خاص بالأستاذة التي كانت تقف أمام الصورة كتب عليها تاريخ اليوم الذي كان يصادف 05 جويلية 1962.

القسم الثاني حمل نفس خصائص ومواضيع القسم الأول ولكن في وضعيات مختلفة أين قسمت هذا القسم إلى ثلاثة أجزاء عمودية كل جزء يحمل حيز يعبر عن وضعية معينة، أما الجزء الثالث والذي وجد في أسفل الورقة فهو رسم عليه العلم الوطني للجزائر.

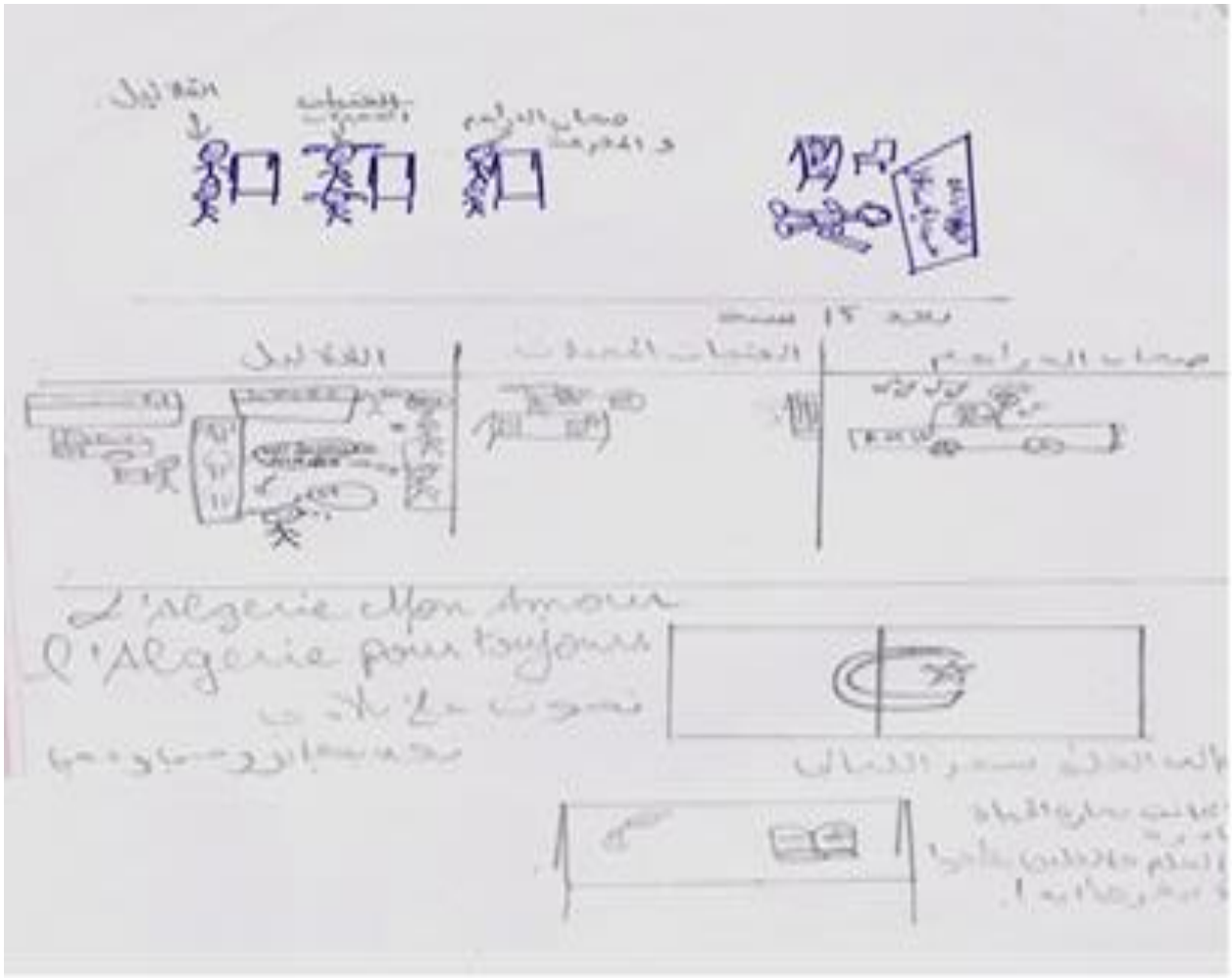

الرسم(3) من المجموعة الثانية

الوضـــعية الأولى المتواجدة في أعلى الورقة وهي منطقة تدل على خيال التلميذة وقدرتها على التعبير بما تشعر به، رسمت التلاميذ والأستاذة في شكل دمى متحركة متشابهة من ناحية الشكل لكن مختلفة من ناحية المستوى فأجلست التلاميذ في مراتب على حسب المستوى الاجتماعي والاقتصادي للتلاميذ، كما أنها أوضحت أن للهوية الجنسية أيضا تأثيرا في إحداث التميز بين التلاميذ باعتبار أنهم فتيات وفي المرتبة الأخيرة تلاميذ المتواجدون في أسفل السلم الاجتماعي، كل هؤلاء التلاميذ هم في وضعية متابعة لدرس بتاريخ 05 جويلية 1962.

الملاحظ أن التلميذة لم ترسم ولا كرسي للتلاميذ فهم يتابعون الدرس وهم واقفون، هذه الوضعية تدل على عدم الانتماء أو الاستقرار في المكان بمعنى أنهم يتابعون الدرس ولكن غير مستقرين الذين يدل عليه الجلوس، بالرغم من ذلك فإنها رسمت كرسي وراء مكتب الأستاذة، ربما لأن بعد مرور 15 سنة يتحول التلاميذ إلى مكانات ومواقع أخرى، ولكن الآن هم لا يجلسون معا وإنما كل واحد يوجد في موقع ينفصل عن الآخر، ظهر ذلك في حركة القلم عندما وضعت خطوط فاصلة بين المواقع الثلاثة تظهر الخطوط الفاصلة بشكل واضح نتيجة ضغط التلميذة على القلم هذا ما يدل على وجود قلق واضح عند التلميذة، فتحول التلميذ صاحب المرتبة الأولى إلى شخص غني يملك سيارة غالية الثمن، رسمت التلميذة السيارة كمؤشر يعبر عن الإمكانيات والقدرة الاقتصادية والاجتماعية هذا ما وضحه: ferrari الحصول على سيارة هو أنك شخص مهم.(Ferari,1980, 97)

أما بالنسبة للتلميذات فستجدن أحدهن في وسط مريح في مكتب فيه تكييف الذي يدل على الراحة وانعدام أعراض التعب لا لشيء إلا لأنها فتاة جميلة أما التلاميذ المرتبة الأخيرة فمستقبلهم هو أن يقوموا بالأعمال الشاقة أو البطالة.

قد يعتقد القارئ أن موضوع الرسم يتقاطع مع رسومات المجموعة الأولى ولكن هناك تفصيل واحد يحمل معنى محور هذه المجموعة يختلف كليا عن محور هذه المجموعة الأولى هو أن التلاميذ حسب هذه التلميذة ما هم إلا دمى متحركة تحركهم إدارة سياسية وضعت أهم معالمها منذ تاريخ 05 جويلية 1962 وهو تاريخ استقلال الجزائر، هذا التاريخ قسم المجتمع إلى طبقات أو إلى مستويات ومما نحن عليه حسب هذه التلميذة إلا أن نتبع هذا البرنامج فالمعرفة المدرسية هي ليست معيار التغير الاجتماعي.

في الجزء الأخير من الورقة نجد أنها رسمت عَلم الجزائر باللون الأسود فقط وفي منطقة(أسفل يمين) وهي منطقة تعبر حسب Royer إلى عدم الأمن والخوف من المستقبل، الخوف من تواجد في مكان كل شيء فيه مبرمج، لا تملك فيه القدرة على تغيير الأمور، إعادة تكرار الأشخاص بنفس الحجم هو مؤشر أن لا شيء تغير حتى التغير الفيزيولوجي لا يوجد، وهذا ما يرمز إلى أن التلميذة ترى أن ليس المستوى العلمي هو الذي يحدث الفارق بين الأشخاص، وإنما هو إلا مظهر من المظاهر التي تعزز الفوارق بين أفراد المجتمع، هذه النظرة السلبية للواقع ما هي إلا انعكاس لما تشعر به من إحباط ويأس من تجربتها المدرسية.

الرسم الثاني: هذا الرسم أنجز من طرف التلميذ(ج، م. شعبة تقني رياضي)، في هذا الرسم نلاحظ أن التلميذ رسم فقط مجموعة من الأشياء منها كيس كتب عليه كيس العِلم، متبوع بسهم يشير أن مكان العلم

في الجزائر هو سـلة مهملات بمعنى أن ما يرمى هو لا قيمة له، والعلم في الجزائر لا قيمة له لهذا مكانه الطبيعي هو سلة المهملات.

نلاحظ أن التلميذ لم يرسـم أي موضـوع يدل على حضـوره، هذا الحذف يتقاطع مع فكرة Carman عند غياب الفاعل في الرسم: حذف الأنا في الرسم هو عرض يعبر عن الشعور بالدونية يصل إلى درجة إزاحة الأنا(Carman,1978,114)، هذا شـرحته Fedida غياب الذات له علاقة مع غموض على مسـتوى الهوية أو الصورة الهوامية أنها لم تتشكل بشكل واضح.(Fedida,1978, 8)

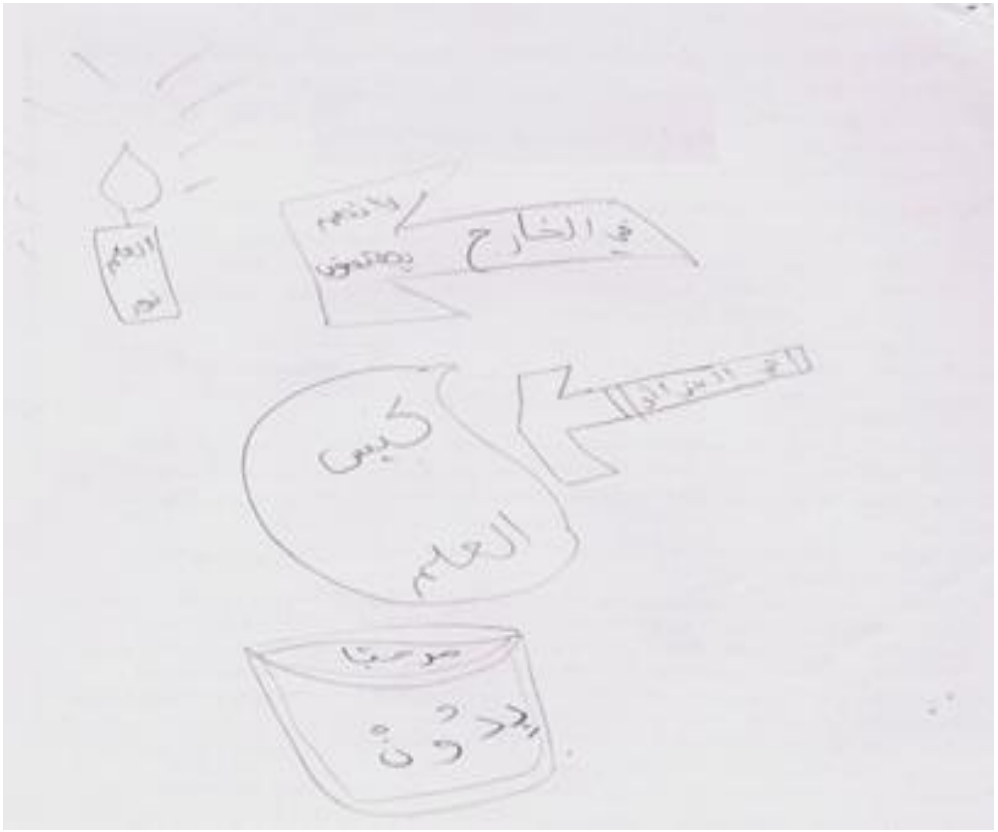

الرسم(4) من المجموعة الثانية

ثالثا: تحليل المؤشرات الخاصة بالمجموعة الثالثة:

نوع المؤشرات التخطيطية التي ظهرت في هذه المجموعة ارتكزت على فكرة السفر إلى الخارج، هذا ما يوضحه الرسم(5) الذي أنجز من طرف التلميذ(ن، م. شعبة أداب وفلسفة).

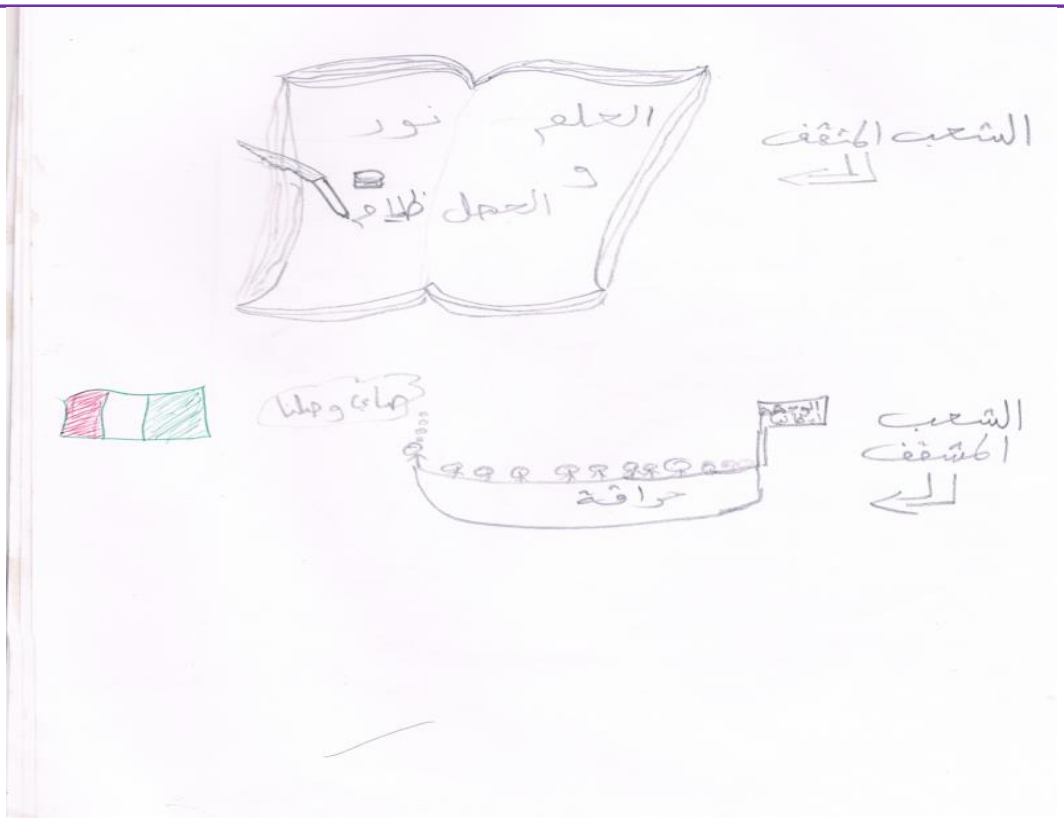

الرسم(5) من المجموعة الثالثة

عندما رسم قارب صغير يحمل مجموعة من الأشخاص باتجاه إيطاليا، الغريب في الأمر أن القارب فوق فراغ لا يوجد أرضية(بحر) أو دعامة ببحر فوقه، كما تم الرسم في المنطقة(8)، وهي مؤشر على أن التلميذ لا يشعر بالأمن وعلى الواقعية والمادية، إذ أن الدراسة أو الحصول على الشهادة في الجزائر ليست وسيلة لتحقيق الطموحات ولكي يريد أحدهم أن يحسن من وضعه لابد له من السفر إلى الخارج، هذه الصورة تكررت في الرسم(**6**) الذي أنجز من طرف التلميذ(غ، غ. شعبة علوم طبيعة والحياة)، رسم هذا التلميذ شخصا حائرا بين فكرتين الفكرة الأولى شملت رسمه للشمس والتي تدل على وجود ضغوطات عائلية على هذا التلميذ خاصة ضغوطات الأب الذي يريد منه أن يكمل دراسته.

وبين الفكرة الثانية وهي السفر إلى الخارج كوسيلة للنجاح يظهر ذلك في رسمه لمؤشرات النجاح وهو تكوين عائلة والحصول على سيارة، كلا الفكرتين ومؤشرات المصاحبة لهما ظهرتا في إطار على شكل صورة فوتوغرافية تدل على أنها صورة التي يريدونها منه وأن حياته مسطرة من قبل، هذا ما يسبب له القلق والخوف من المستقبل ويعكس رغبته في الهروب مما هو مسطر من أجله هذا ما يسبب له مشاكل علائقية مع أسرته، هذا ما يظهر من خلال الملمح الجانبي للوجه الذي يدل على أن التلميذ يعاني من صعوبة في إقامة العلاقات مع الآخرين ويظهر عمق مستوى صراعه مع والده الذي يسبب له ضغوطات في حياته، ففكرة السفر ما هي إلا دلالة على الرغبة في الهروب إلى الأمام من وضعية مؤلمة تساهم في شعوره بالدونية وعدم تقديره لذاته لأنه لم ينجح أن يكون كما يراد له أن يكون.

الرسم(6) من المجموعة الرابعة

رابعا: تحليل المؤشرات التخطيطية الخاصة بالمجموعة الرابعة:

المعرفة المدرسية ليست وسيلة لتحقيق النجاح والطموحات.

الرسم(7) من المجموعة الرابعة

الرسم(7) للتلميذ(ب. ك. شعبة علوم الطبيعة والحياة) نلاحظ أن هناك مقارنة بين وضعيتين الوضعية الأولى تمثلت لشخص راشد مستواه الدراسي سنة أولى متوسط ولكن الوضع الاجتماعي لوالده يجعل منه شخصا ناجحا مدير الأعمال وهو سعيد في حياته، أما الوضعية الثانية فتمثل شخصا متقدما في السن ما زال يبحث عن العمل بالرغم من حصوله على شهادة التي هي سبب تعاسته.

أما الرسم(8) تم إعادة إنتاج الوضعية من طرف التلميذ(ن، ك. شعبة أداب وفلسفة) الذي وضع مقارنة بين شخص أصبح راشدا ناجحا لأن وضعه الاجتماعي ساعده في ذلك، يشعر بسعادة وهو يعد النقود ويملك سيارة آخر طراز التي تعبر عن نجاحه اجتماعيا ما شخص الحامل لشهادة تحول إلى شخص فقير ومدمن موقع الوضعية الأولى(أعلى يمين) التي تدل على ما يريده أن يكون عليه التلميذ والوضعية الثانية(أسفل يسار) التي تعبر عن القلق والخوف مما سيؤول إليه مستقبله، ما يمكن ملاحظته في رسومات هذه المجموعة هي إسقاط كل ما هو سلبي على موضوع المعرفة المدرسية في شخصية حامل الشهادة العلمية.

الرسم(8) من المجموعة الرابعة

خاتمة:

نستخلص من خلال تحليل رسومات التلاميذ من أن التصورات تعمل كخزان للاحتمالات يحملها الفاعل في ذهنه والتي يمكن أن يفعلها في شكل مخططات أدائية على حسب قول سعدي لحلو "أن التصورات تأخذ شكل سيناريو يحقق غاية محددة في شكل الوضعية النهائية المرغوب فيه"، بمعنى أن

التلميذ في تجربته المدرسية يضع أكثر من جملة من الاختيارات كلها تتصل بالنواة المركزية التي تعبر على أن المعرفة المدرسية ليس لها أهمية وبالتالي لا تستحق أن يبذل التلميذ مجهودات لكي يحصل عليها أو أن يعتبرها وسيلة للنجاح المهني والاجتماعي وإنما يضع ارتباطات واضحة المعالم بينها والتميز الاجتماعي من منطلق الفوارق الاجتماعية التي لا يمكن له أن يقلصها إلا من خلال رفض المعرفة كموضوع يعيق مشروع حياته فوجوده في الثانوية ما هو إلا مرحلة تعبر عن المآزق الذي يشعر ولا يجد لا الآليات ولا المساحة لتعبير عن هذا الاضطراب اليومي الذي يشعر به، كما أن البعد البراغماتي للتصورات المعرفة العلمية يظهر لنا إلى أي مدى ترسخت فكرة أن المعرفة العلمية ليست معيار للنجاح الاجتماعي محاصرة التلميذ بين ثنائية الناجح الذي لا يحتاج إلى الشهادة لأن لديه المال والفاشل الحامل لشهادة لا تضمن له إمكانية التكيف داخل المجتمع، وكأن التلميذ المنقطع المتصل في نفس الوقت يفسر الوقائع الاجتماعية من منطلق براغماتي وذلك لأنه يرى بأن الحامل للشهادة ما هو إلا حامل للشهادة عدم انتمائه للمجتمع فالمؤسسة تربوية تتحول إلى مكان صانع لتعاسة الفرد بشكل ضمني وأن الأساتذة لا ينتبهون إلى هذه الحقيقة التي سوف يضطرون لمواجهتها بشكل مباشر، هذه التقاطعات في تفكير التلميذ تجعل منه يبحث عن المعنى الذي لا يستطيع الحصول عليه من خلال المواد المدرسة ولا من خلال الخطاب الاجتماعي بأن المعرفة ليست ضمان لأمن التلميذ فكيف لنا أن نتعامل مع تلميذ لا يشعر بالأمن في وسط إداري واجتماعي لا يوفر له المعنى حول تواجده في هذه المؤسسات بالإجابة على سؤال ماذا نريد من المعرفة المدرسية؟ هذا ما يجعلنا نتأكد من أن التصورات هي محتوى يعمل في شكل بديهي بسيط في لغة التلميذ ولكن عميق من ناحية انه حامل لعدة دلالات موجهة نحو غاية أدائية، وأن كل من محتوى التصورات وطريقة تنظيمها ما هي إلا مخططات مشروطة بظروف التي يتواجد فيها الفاعل(التلميذ) مما يجعل لها وظيفة التكيف مع الواقع ومتطلبات المحيط.(Flament et Moliner,1992, 325)

قائمة المراجع

Abrahme, A(1976). *l'identification de l'enfant à travers son dessin*. Toulouse: privât.

Abric, J.C(1967) . *le rôle de l'image du partenaire ou la coopération en situation* de *jeu*. Ed: psychologie française, Abric, J.C(1994). *Pratique Sociale Représentation sociale*. Paris: p. u. f.

Boutonier, j.et, al(1959). *Les dessins des enfants* .paris :du scarabée.

Corman, l.(1979). *Le test du dessin de famille*. P. P.U.F. 1964.

Doise, W(1985). *Représentations .sociales: définition d'un concept* .connexions.

Fédida, P(1978). *L'absence*. Paris: Gallimard.

Ferrari, P & Epelbaum, C(1993). *Psychiatrie de l'enfant et de l'adolescent* .Flammarion: Medecine-Sciences.

Jodel et D(1989). *Les représentations sociales: un domaine en expansion dans représentations sociales* .paris :p. u. f.

LAGE Elisabeth. JAKUBOWICZ Patrick(1978). *Les représentations sociales du métier de chercheur dans la jeunesse.* Volume1*: A travers l'institution scolaire.* Rapport C.N.R.S. «Recherche sur la recherche ». E.H.E.S.S.

Le Brun, M(2001). *Théories et méthodes pédagogiques pour enseigner et apprendre* : *Quelle place pour les TIC dans l'éducation*?. De Boeck(Bruxelles).

Molinner, P(1996). *image et représentation sociales*. Grenoble. p. u. de Grenoble. n°28.

MOLINER, P(1992). *La représentation sociale comme grille de lecture, étude expérimentale de sa structure et aperçu sur ses processus de transformation*. Aix-en-Provence. Presses Universitaires de Provence.
Moscovici, S(1976.). *psychanalyse son image et son* public .paris: p. u. f.
Pommereau, X, M. et Brun, J. PH(2009). *L'adolescence scarifiée . ed: l'harmattant*.
Royer(1995). *Que nous disent le dessin d'enfant?*. Marseille: Homme et perspective.
Saadi, L(1995). *Penser manger représentations sociales de l'alimentation*. Paris: p. u. f.

كيفية توثيق المقال:

بن ملوكة، شهيناز(2018). التصورات الاجتماعية لموضوع المعرفة العلمية من خلال تقنية الرسم الحر. دراسة تحليلية لعينة من تلاميذ الطور الثانوي. *مجلة العلوم النفسية والتربوية*. 7(1). 112-130.